كِتَابُ الإِيمَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإيمان

للحافظ

محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني

المتوفى سنة ٢٤٣ هـ

دراسة وتحقيق

حمد بن حمدي الجابري الحربي

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

الدار السلفية

حولي - شارع تونس
مقابل محافظة حولي
تلفون : ٢٦١٧٤٢٠
ص . ب : ٢٠٨٥٧ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٦٩
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من أعظم ما يبحث فيه موضوع العقيدة لارتباط الأعمال فيها صحةً وفساداً.

وقد جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم بعقيدة الإسلام صافية نقية، سليمة من الكدر والشوائب. وظلت عقيدة الصحابة رضي الله عنهم نظيفة طاهرة كما أرادها الله منهم، وكذلك من كان بعدهم من التابعين وصالحي الأمة. حتى دخلت بعض الفئات التي تلوثت عقائدها بمخلفات العصور البائدة، وبدأ الانحراف في مسائل الاعتقاد، وفيها ما يتعلق بالإيمان. فمن قائل هو التصديق بالقلب فقط، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، ومن قائل هو الإقرار باللسان فقط، ومن قائل هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، والعمل ليس من الإيمان بل هو بر وتقوى. ومن قائل غير ذلك في مسائل الإيمان الأخرى. فتصدى السلف لهذه الظاهرة الإنحرافية ولا سيما بعد انتشارها واعتناق كثير من الناس لها. فألفوا الكتب والمقالات التي توضح المنهج الصحيح في ذلك. ومن هؤلاء محمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني صاحب كتاب الإيمان الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته. وكان من توفيق الله أن اخترت تحقيق هذا الكتاب مريداً الإدلاء بدلوي مع طلاب العلم الذين ساهموا في تحقيق كتب التراث الإسلامي وإخراجها، على اختلاف مستوياتهم وقدراتهم، وإن كنت لست ممن تأهلوا لذلك. ولكن من باب:

وقد لاقيت في تحقيقه بعض المتاعب والمصاعب ولكن الله ذللها بفضله ومنه ثم بمجهود الدكتور المشرف الذي أحاطني باهتمامه ورسم لي طريق السير، ولم يألوا جهداً في تقويم ما اعوج من مسيري. فأسأل الله أن يثيبه على ما قدم ويكثر من أمثاله.

وقد اشتملت دراسة هذا الكتاب وتحقيقه على قسمين:-

١- قسم لدراسة حياة المؤلف.

٢- قسم لدراسة الكتاب ومنهج التحقيق فيه.

ويسبق هذين القسمين كلمة في الإيمان والإسلام، وسبب اختيار الموضوع. ويشتمل القسم الأول على ما يلي:-

دراسة حياة المؤلف وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث وبابان.

أولاً: تمهيد في عصر المؤلف من سنة ١٥٠ - ٢٤٣ هـ.

ثانياً: المباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث: الحالة العلمية

الباب الأول: في حياة المؤلف وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: يشتمل على:

أ - اسمه وكنيته ونسبته

ب - ولادته ونشأته

جـ - طلبه العلم ورحلته

الفصل الثاني: ثناء العلماء عليه

الفصل الثالث: عقيدته

الفصل الرابع: آثاره العلمية

الفصل الخامس: وفاته

الباب الثاني: في شيوخه وتلاميذه.

القسم الثاني: دراسة الكتاب: وفيه فصلان:

الفصل الأول: وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب ووصفه

المبحث الثاني: نسبته للمؤلف

المبحث الثالث: نقده ومقارنته بكتب بعض معاصريه

المبحث الرابع: نماذج من السماعات المدونة عليه

المبحث الخامس: منهج تحقيق الكتاب

الفصل الثاني: تحقيق الكتاب

ثم الفهارس وتشتمل على ما يأتي:

١- فهرس بالأحاديث المرفوعة مرتبة على حروف المعجم.

٢- فهرس بالآثار مرتبة على حروف المعجم أيضاً.

٣- فهرس بالأعلام الواردة أسماؤهم في متن المخطوطة مرتبة على حروف المعجم.

٤- فهرس بالأعلام الذين ورد ذكرهم أثناء دراسة حياة المؤلف.

٥- فهرس بموضوعات الكتاب.

٦- فهرس المراجع.

* * *

كلمة في الإسلام والإيمان

كان الصحابة رضوان الله عليهم في عهد النبوة يتلقون الدين غضاً طرياً من المصطفى ﷺ، ويفهمونه على وجهه الصحيح، لطهارة قلوبهم وسلامة ذوقهم، فيعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وظل الأمر كذلك صدر الخلافة الراشدة، ثم نبتت فئات من الناس إنتكست أفهامهم، وضلت عقولهم، وحرفوا النصوص الشرعية وفق أهوائهم، وميولهم، فضلوا وأضلوا كثيراً، وذلك بدوافع عقائدية موروثة، أو حقد على الإسلام والمسلمين، أو فهم خاطىء، كما فعل الماكر عبدالله بن سبأ[1]، الذي غلا في حق علي رضي الله عنه، وحمل لواء الفتنة بين المسلمين، وتسبب في قتل عثمان - رضي الله عنه - ثم الجهم ابن صفوان[2]، تلميذ الجعد بن درهم[3]، مؤسس مذهب الجهمية الذي قال بخلق القرآن، وتعطيل الله عن صفاته[4]، وواصل بن عطاء مؤسس مذهب الاعتزال[5]، وغيلان

(١) من غلاة الزنادقة، ينحدر من أصل يهودي، ضال مضل. أنظر ميزان الاعتدال (٢/٤٢٦).

(٢) هو: الجهم بن صفوان أبو محرز الخزري، السمرقندي، الضال، المبتدع، رأس الجهمية، زرع شراً عظيماً، أخذ مذهبه عن الجعد بن درهم، وقتل بأصبهان وقيل بمرو، قتله نائبها سلم بن أحوز، رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرا.
انظر: الميزان (١/٤٢٩)، والبداية والنهاية (٩/٣٥٠).

(٣) الجعد بن درهم: أصله من خراسان وسكن دمشق، وهو أول من قال بخلق القرآن وقد أخذ ذلك عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت، ابن أخت لبيد بن أعصم وزوج ابنته، وأخذها لبيد الساحر الذي سحر النبي ﷺ عن يهودي باليمن.
وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان. فلما أظهر الجعد بدعته، تطلبه بنو أمية فهرب منهم، وسكن الكوفة. ثم إن خالد بن عبدالله القسري قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة سنة ١٢٤هـ حيث خطب الناس فقال: أيها الناس، ضحوا يقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم. إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر.
انظر البداية والنهاية (٩/٣٥٠).

(٤) الملل والنحل (١/٨٦).

(٥) واصل بن عطاء البصري، الغزال، كان من أجلاد المعتزلة، وهو مؤسس مذهبهم، ولد سنة ٨٠هـ في المدينة ومات سنة ١٣١هـ.
انظر الميزان (٤/٣٢٩)، والملل والنحل (١/٤٦).

الدمشقي[6]، الذي أحدث القول بالارجاء والقدر، وأن القدر لم يسبق به سابق قدر من الله عز وجل، ومن غلاة القدرية معبد الجهني[7]، وقد غلظ ابن عمر - رضي الله عنه - القول فيهم وتبرأ منهم[8].

وقبل ذلك مذهب الخوارج، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه في حرب صفين، وكان أشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين، مسعر بن فدكى التميمي[9]. وزيد بن حصن الطائي[10]، ومن بعدهم عبدالله بن الكواء[11]، وعتاب ابن الأعور[12]. الذين كفروا المسلمين بارتكاب الكبائر واستحلوا دماءهم[13].

وكذلك الشيعة الذين ادعوا حب علي - رضي الله عنه - وموالاته كذباً وزوراً، وحرفوا الكتاب والسنة ليوافقا مذهبهم[14].

وكثرت المذاهب المنافية للدين الإسلامي، والمخالفة لقواعده، وأصوله، وتعددت فرقها، ولا سيما في آخر الخلافة الأموية، وأول الخلافة العباسية، حينما كثرت الفتوحات، ودخل في الإسلام خلق عظيم من البلاد المفتوحة، لا رغبة في الإسلام وإنما خشية سلطانه، وصاروا يدسون على الدين الإسلامي كلما سنحت لهم الفرصة. وتضاعف الشر بعد ترجمة الكتب الأجنبية من فارسية، ورومانية، ويونانية، وغيرها، بما فيها من عقائد وعلوم فلسفية حيث ساهمت مساهمة فعالة في تضليل العقول وإفسادها، واشتد الخطر في عهد المأمون الخليفة العباسي الشهير[15]، وبعده المعتصم[16]، والواثق[17]، حينما تبنوا مذهب المعتزلة،

(٦) هو: غيلان بن أبي غيلان، كان ضالاً، قتل بسبب القول بالقدر. انظر الميزان (٣/٣٣٨).

(٧) يقال: إنه معبد بن عبدالله بن عليم الجهني، أول من تكلم في القدر وأخذ عنه غيلان الدمشقي، قال الحسن البصري: إياكم ومعبد فإنه ضال مضل، صلبه عبدالملك بن مروان سنة ٨٠ هـ في دمشق ثم قتله. البداية والنهاية (٩: ٣٤).

(٨) الإيمان لابن أبي شيبة (١١٩)، والملل والنحل (١: ١٣٩)، والعلوم والحكم (ص ٢٣).

(٩) من الذين خرجوا على علي وجاهروه بالعداوة. انظر البداية والنهاية (٧: ٢٧٤).

(١٠) من رؤوس الخوارج. البداية والنهاية (٧: ٢٨١).

(١١) من رؤوس الخوارج. الميزان (٢/٤٧٤).

(١٢) لم أعثر على ترجمة له.

(١٣) أصل مذهب الخوارج هو القول أن الإيمان عمل الطاعات كلها بالقلب واللسان والجوارح، ومن ترك واحداً منها كفر، وحكم عليه بالخلود في النار، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة. انظر الملل والنحل (١/١١٤ - ١١٥).

(١٤) الملل والنحل (١: ١٤٦).

(١٥) هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ، وهو أول من ناصر المعتزلة بالقول في خلق القرآن، وحمل الناس عليه، توفي سنة ٢١٨ هـ. انظر البداية والنهاية (١٠: ٢٧٢).

(١٦) تأتي ترجمته.

(١٧) هو أبو جعفر هارون الواثق بن المعتصم تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٢٢٧هـ وكان من أشد الخلفاء حملاً للناس على القول ←

وحملوا الناس على القول بخلق القرآن وإنكار رؤية الله يوم القيامة، وأصبح ذلك الدين الرسمي للدولة، فقتلوا الكثير ممن أنكر ذلك أو عارضه، ونال المسلمين من ذلك بلاء شديد[١٨].

ونشطت المذاهب الأخرى، من جهمية ومرجئة وكرامية وغيرها، وانتشرت في الأرض، لتضليل المسلمين، وتعطيل أعمال الإسلام وأحكامه، وفصلت المرجئة بين الإيمان والعمل، وزعموا أن الإيمان التصديق والاقرار، وأنه لا علاقة بينه وبين الأعمال أصلاً، وأنه لا يزيد ولا ينقص، بل إيمان أي فرد من المسلمين كإيمان نبي من الأنبياء، وغلاتهم جعلوه: التصديق فقط[١٩].

بينا أن مذهب أهل السنة، والمشهور عنهم، أن الإيمان قول، وعمل، ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي وغيره عن ذلك إجماع الصحابة والتابعين، ومن بعدهم ممن أدركهم، وقد أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله، وجعله قولاً محدثاً سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنخعي، والزهري، وإبراهيم، ويحيى بن أبي كثير، وغيرهم، وقال الثوري: هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان.

وكتب عمر بن عبدالعزيز[٢٠] إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإن الايمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان[٢١]. وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].
فلم يجعل الله للإيمان حقيقة إلا بالعمل على هذه الشروط، والذي يزعم أنه بالقول خاصة

← بخلق القرآن، (ت ٢٣٢ هـ). انظر البداية والنهاية (١٠: ٢١٠).
(١٨) انظر البداية والنهاية (١٠/٢٧٢، ٣٣٢). وتاريخ الخلفاء ص ٣٤٠-٣٤١.
(١٩) انظر الإيمان لابن تيمية (ص ٢٤٣).
(٢٠) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أمير المؤمنين، كان تابعياً جليلاً، ولعدله وفضله اعتبر الخليفة الخامس من الخلفاء الراشدين تولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩هـ (٦١-١٠١هـ) رضي الله عنه. البداية والنهاية (٩/١٨٤-١٩١).
(٢١) انظر كتاب الإيمان للقاسم بن سلام (ص ١-٦)، وجامع العلوم والحكم (ص ٢٣-٢٤)، وابن أبي شيبة الحديث (رقم ١٣٥) وفي البخاري (١: ١١)

يجعله مؤمناً حقا وإن لم يكن هناك عمل فهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله كما في حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة».

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال لوفد عبدالقيس: «آمركم بأربع: الإيمان بالله وحده، وهل تدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»[٢٢]. ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل. فإنه فسر الإيمان بالأعمال. ولم يذكر التصديق للعلم بأن هذه الأعمال لا تعتبر مع الجحود[٢٣].

وذلك كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٢٤].

وإذ ذكر اسم الإيمان مجرداً دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان[٢٥].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[٢٦]. فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان، لما انتفى إسم الإيمان عن مرتكب شيء منها، لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته[٢٧].

أما وجه الجمع بين هذه النصوص، وبين حديث جبريل عليه السلام، عن الإسلام والإيمان، وتفريق النبي ﷺ بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام، دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند افراده واطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون

---

(٢٢) صحيح البخاري مع الفتح رقم ٥٣ وصحيح مسلم برقم ٢٣.
(٢٣) انظر شرح الطحاوية (ص ٣٨٠).
(٢٤) صحيح البخاري مع الفتح برقم ٩ وصحيح مسلم برقم ٥٨.
(٢٥) انظر الايمان لابن تيمية (ص ١٠-١١).
(٢٦) صحيح البخاري مع الفتح برقم ٥٥٧٨ وصحيح مسلم برقم ١٠٤.
(٢٧) جامع العلوم والحكم (ص ٢٤).

به دالاً على باقيه، وهذا الإسم: كالفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل محتاج، وإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بضع أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، وهكذا اسم الإسلام والإيمان، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي، وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله، إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر. وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم[٢٨]. ويدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ فسر الإيمان عند ذكره مفردا ـ في حديث وفد عبدالقيس ـ بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان، كما في مسند الامام أحمد[٢٩] عن عمرو بن عبسة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك». قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت». قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: «الهجرة»، قال: فما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء». قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد». ففي هذا الحديث جعل النبي ﷺ الإيمان أفضل الإسلام، وأدخل فيه الأعمال.

وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول في مسألة الإيمان والإسلام، وهل هما واحد أو مختلفان. فإن أهل السنة والحديث مختلفون في ذلك، وصنفوا في ذلك تصانيف متعددة، فمنهم من يدعي أن جمهور أهل السنة على أنهما شيء واحد، ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما.

وبالتفصيل الذي ذكر يزول الاختلاف. فيقال: إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق. والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو إستسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله تعالى في كتابه الإسلام دينا، وفي حديث جبريل سمى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والاحسان دينا، وهذا أيضا مما

(٢٨) جامع العلوم والحكم (ص ٢٤).
(٢٩) مسند أحمد (٤/١١٤).

يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب وبالإسلام جنس العمل، فهما يجتمعان إذا افترقا، ويفترقان إذا اجتمعا، وفي مسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»[٣٠]، وهذا لأن الأعمال تظهر علانية على الجوارح، والتصديق لا يظهر لأن محله القلب، ولكن لا وجود للإيمان بدون أعمال، لأننا إذا قلنا أن الإيمان هو التصديق والمعرفة والإقرار، فلا بد من ظهور دلالة ذلك، إذا كان ذلك صادقاً، وهذه الدلالة هي فعل ما يقتضيه هذا الإقرار والتصديق، وهو العمل، وعلى ذلك فلا إنفكاك بين الإيمان والعمل، وحيث لا عمل فإنه دلالة على عدم تحقق الإيمان، لأن العمل ثمرته، ومتى تحقق القلب بالإيمان فلا بد من انبعاث الجوارح بالأعمال، لأن القلب ملك والجوارح جنوده فهي لا تتخلف عن عمل ما يهدف إليه.

وليس كل مسلم مؤمنا لأنه قد يكون الإيمان ضعيفاً، حيث أنه كلما كثرت الذنوب والمعاصي والإعراض عن الله، كلما ضعف الإيمان في القلب ولايزال كذلك حتى لا يبقى فيه مثقال ذرة، ولذلك فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً مع عمل جوارحه أعمال الإسلام، فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان التام، كما قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ الآيتين [الحجرات: ١٤-١٥]. فهؤلاء لم يكونوا منافقين وإنما كان إيمانهم ضعيفاً، ولا ريب أنه إذا ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضاً. لكن إسم الإيمان ينفى عمن ترك شيئاً من واجباته، لكن حينما ينفى في أكثر النصوص فان المقصود نفي كماله لا الخروج من الدين، أما الإسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو إنتهاك حرماته، وإنما ينتفي بالاتيان بما ينافيه بالكلية، ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عمن ترك شيئاً من واجباته كما ينفى الإيمان عمن ترك شيئاً من واجباته، وكما تدخل أعمال الجوارح الظاهرة في مسمى الإسلام والإيمان، فإن أعمال الجوارح الباطنة تدخل في مسماهما أيضاً، ومن ذلك إخلاص الدين لله تعالى، والنصح له، ولعباده، وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد، وتوابع ذلك من أنواع الأذى فإن هذه الأعمال تدخل في مسمى الإسلام كما يدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب وخشوعها عند سماعها ذكره، وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك، وتحقيق التوكل على الله عز وجل، وخوف الله سرا وعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً.

(٣٠) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في كتابه الإيمان برقم ٦، تحقيق الألباني وقال الألباني: إسناده ضعيف.

ومسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق، مسائل عظيمة، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة، والشقاوة، واستحقاق الجنة، والنار والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين، وأموالهم ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة، وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، وحدث خلاف المرجئة وقولهم «إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان»[٣١].

وقد صنف العلماء في هذه المسألة تصانيف متعددة للرد على أولئك. منها مصنفات مستقلة ومنها ما هو مصنف عام. وممن صنف مصنفا مستقلا قبل وبعد ابن أبي عمر كل من:-

١- أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤ هـ) وكتابه مطبوع.
٢- الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (١٥٩-٢٣٥ هـ) وكتابه مطبوع.
٣- الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ) وكتابه مخطوط ويقع في ٢٠٢ ورقة في المتحف البريطاني ومصور في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٢٧٧٤، ويحقق أوله من قبل أحد طلابها.
٤- محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢ هـ) وهو في حكم المفقود.
٥- الإمام أحمد بن محمد الطحاوي (٢٣٧-٣٢١ هـ) وهو في حكم المفقود.
٦- الحافظ محمد بن منده (٣١٠-٣٩٥ هـ) مطبوع.
٧- القاضي محمد بن أبي يعلى (٣٨٠-٤٥٨ هـ) ويقع في ٣٣ ورقة مخطوط في المكتبة الظاهرية ومصور في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة تحت رقم ٩٨٧م: ١٢٥. وهو تحت التحقيق من قبل أحد طلابها.
٨- شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) مطبوع.

وممن صنف فيه مع مصنف عام:
١- الامام البخاري في صحيحه
٢- الامام مسلم في صحيحه
٣- ابن ماجه في سننه
٤- الترمذي في الجامع
٥- النسائي في سننه.

(٣١) انظر شرح الطحاوية (ص ٢٧٨-٢٨٣)، وجامع العلوم والحكم (ص ٢٦-٢٧).

وطريقة هؤلاء جميعاً هي ايراد النصوص الشرعية الدالة على مذهب أهل السنة تحت عناوين في أغلب الأحيان دالة على المعنى المراد من إيراد ذلك النص. وفيه اثبات مذهب أهل السنة في المسألة والرد على مخالفيهم، وقل ما يوردون مذهب الخصم ودليله ثم يردون عليه. وذلك اكتفاء بالنصوص التي يوردونها لإثبات مذهب أهل السنة ومفهوم الرد منها على الخصم. إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فاق الجميع بهذا الباب حيث اتبع طريقة السلف بإيراد النصوص الشرعية المثبتة لمذهب أهل السنة وفاقهم بإيراد مذهب الخصم وأدلته ثم ينقضها نقضاً عجيباً بصحيح المنقول وصريح المعقول. ولذلك فإن كتابه الإيمان جاء من أجل ما ألف في هذا الباب.

* * *

سبب اختيار الموضوع

نظراً لما أشرت إليه في كلمتي عن الإسلام والإيمان، واختلاف الناس في مسمى الإيمان، وبما أن العقيدة الصحيحة هي الأساس الصلب، والقاعدة المتينة التي بني عليها الدين الإسلامي، وأن ما بني على غيرها هو بناء متداع، أقيم على جرف هار، وبما أنه لا قيمة للعمل مهما كان إذا لم يكن قائماً على عقيدة صحيحة سليمة، وحيث أن معرفة تلك العقيدة، مقصورة على أصلي الدين الاسلامي، وهما الكتاب والسنة، اللذين من أخذ بهما نجا، ومن حاد عنهما هلك.

فقد اخترت تحقيق كتاب الإيمان لمحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني بصفته معتمداً على نصوص من السنة المطهرة، جرى تأليفه في العصور المفضلة وبني على طريق واضح بتمييز ما جاء فيه من نصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام، وعن صحابته الكرام. وذلك بايراد النصوص بأسانيدها إلى قائليها، مما يجعل للكتاب قيمةً علميةً كبيرةً، كما أن منهجه يبين لنا مدى احترام السلف للنصوص الشرعية، والاكتفاء بما تدل عليه من أحكام عقدية أو تشريعية، فلسان حالهم يقول: إن تلك النصوص وما تدل عليه، من تشريع وأحكام كافٍ للأخذ بها، والانصياع لها، ولا حاجة مع ذلك لقول أحد من البشر، كائنا من كان.

بالإضافة إلى أن هذا الكتاب كنز من كنوز السنة الشريفة، الذي بقي في المستودعات الصفراء دون أن يرى النور منذ أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان. فتعين على المهتمين بالسنة انتشاله من ذلك المكان ونشره بين المسلمين للانتفاع به. فالسنة المطهرة هي شجرة غالية ثمينة، تجب العناية والاهتمام بها، فلهذه الأسباب المهمة، أقدمت على اختيار تحقيق هذا الكتاب العظيم، لأنه تبرز فيه الأمور التالية:

١- كونه يتحدث عن الإيمان الذي كثر خوض الناس فيه.
٢- إعتماده على النقول المسندة.
٣- تأييد هذه النقول لما عليه أهل السنة والجماعة خلفاً عن سلف.

٤- تقدم عصر المؤلف حيث أنه عاش أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث.
٥- معاصرته للفرق المنحرفة التي ظهرت في القرن الثاني وامتدت للقرن الثالث، وقوى سلطانها، مما حدا بعلماء السلف إلى التصدي لمذاهبهم، وتأليف الكتب للرد عليهم.

وقد شد من ازري وزاد اهتمامي في تحقيق الكتاب، بعض المهتمين بالعقيدة من أصحاب الفضيلة المشايخ الكرام، الذين استشرتهم في ذلك.

فاستعنت بالله تعالى، وقمت به، وقد تطلب الأمر في التحقيق أن أجعله قسمين:

قسماً لدراسة حياة المؤلف.
وقسماً لتحقيق نصوص الكتاب.

* * *

تمهيد في عصر المؤلف «من سنة ١٥٠-٢٤٣هـ»

كانت ولادة ابن أبي عمر العدني في آخر عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ووفاته في أواخر عهد الخليفة المتوكل، حيث توفي سنة ٢٤٣ هـ، وهذه الفترة الواقعة بين ولادته ووفاته، فترة أوائل قيام الدولة العباسية، وفتوتها، وقد تميزت هذه الفترة، بالفتوحات الإسلامية، والحركة العلمية الهائلة، حتى سميت بالعصر الذهبي، كما برزت فيها الإضطرابات والفتن الداخلية وقمعها، ولم تكن واحدة من هذه الأمور لتحد من نشاط الأخرى، وإن كانت الثورات الداخلية لا ينكر تأثيرها على سير الفتوحات الإسلامية، والإصلاحات الداخلية، إلا أن هذا التأثير لم يكن ذا أثر شديد عليها، وذلك لاتساع رقعة الخلافة، وامتداد نفوذها، وكثرة جندها، فإنه وإن انشغل جيش في اخماد الفتن، فهناك جيوش أخرى تتحرك للفتوحات، وأيد عاملة تجد في البناء والتعمير والإصلاح.

وحيث أن التحدث عن شخصية من الشخصيات، يستلزم معرفة الحالة السائدة في عصره، من سياسية، واجتماعية، وعلمية، لكون الشخص جزءاً من المجتمع يتأثر بما يتأثر به، لذلك يلزم الباحث أن يعطي القارىء نبذة موجزة عن الحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية، في هذا العصر.

* * *

المبحث الأول

«الحالة السياسية»

قامت الدولة العباسية بالبيعة لأبي العباس السفاح[٣٢] سنة ١٣٢ هـ ثم من بعده لأبي جعفر المنصور[٣٣]، وانتقلت الخلافة الاسلامية من الشام عاصمة الدولة الأموية إلى العراق، بعد انتهاء الدور الأموي في الخلافة بالمشرق، وتميز عصر الخلافة العباسية بكثير من الاضطرابات، والفتن. وهذا أمر طبيعي، لأن لكل من قام بالزعامة موالياً، ومعادياً، وطامعاً، وهذه سنة الله في خلقه.

وكان من أكثر الأقاليم الإسلامية إضطرابات، إقليم خراسان، والحجاز، ومصر، واليمن، والمغرب، ولكن أكثرها قوة وشراسة، كان المشرق الاسلامي، (خراسان وطبرستان وأذربيجان وغيرها) التي عرفت بالثورات والفتن، وهذه الثروات في حقيقتها ثورات سياسية، لاستعادة المجد الفارسي. وإن كانت تصبغها صبغة الولاء للعلويين.

هذه بالنسبة لثورات من يدعي الإسلام.

أما من لا يدعي الإسلام، كثورة بابك الخرمي الذي يقال أنه قتل من المسلمين مائتين وخمسة وخمسون ألفاً وخمسمائة، فإنها كانت ثورة لعودة الحكم الفارسي[٣٤].

ومع كثرة هذه الفتن، وما تتطلبه من جهدٍ عظيم لإخمادها والقضاء عليها، فإنها لم تشغل الخلفاء عن الفتوحات الإسلامية، حيث كثرت الفتوحات في هذا العهد، وبلغت مشارق الأرض ومغاربها.

---

(٣٢) هو: عبدالله السفاح بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أول الخلفاء العباسيين بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ، (ت ١٣٦هـ) انظر البداية والنهاية (١٠: ٥٨).

(٣٣) وهو: عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو جعفر المنصور. تولى الخلافة بعد أخيه أبي العباس السفاح سنة ١٣٦هـ (ت ١٥٨هـ) البداية والنهاية (١٠: ١٢١).

(٣٤) انظر البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٣-٢٨٥).

وكان الرشيد[٣٥] ـ رحمه الله ـ من شدة إهتمامه وعنايته بها، يحج عاماً ويغزو عاماً. وبلغت ذروتها في عهد الخليفة المعتصم[٣٦]، حيث خضع له ملوك الدنيا، وغزا الروم، فأنكاهم نكاية عظيمة، لم يسمع بمثلها لخليفة، وشتت جموعهم، وخرَّب ديارهم، وفتح عمورية بالسيف، وقتل منهم ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم.

ونال منهم غنائم عظيمة، بعد أن دك حصونها، و هدم عمرانها، وكانت من أعظم معاقل الروم في ذلك الزمان[٣٧].

وبالرغم من الاهتمام البالغ بالفتوحات الإسلامية، فإن ذلك لم يكن على حساب الحركة العلمية التي بلغت أوجها في تلك الحقبة من الزمان.

* * *

(٣٥) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، تولى الخلافة بعد أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ (ت ١٩٣هـ) وكان من أتقى الخلفاء العباسيين. البداية والنهاية (١٠: ٢١٣).

(٣٦) هو أبو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ولد سنة ١٨٠هـ وهو ثامن الخلفاء العباسيين تولى الخلافة بعد موت أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ وهو الذي ضرب الإمام أحمد بن حنبل بحضرته لإلزامه بالقول بخلق القرآن (ت ٢٢٧هـ). البداية والنهاية (١٠: ٢٩٥).

(٣٧) انظر البداية والنهاية (١٠/٢٨٦ـ٢٨٨)، وتاريخ الخلفاء (ص ٣٣٦).

المبحث الثاني

«الحالة الاجتماعية»

جاء الدين الإسلامي بالمحبة والاخاء، والصدق والصفاء، ووضوح الرؤية في الأمور كلها، اعتقاداً وعملا، وأوجب على أهله صدق الإيمان، وسلامة الهدف، وطهارة الباطن، واستقامة الظاهر، وجعل الأفضلية فيه للتقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولم يفرق في ذلك بين أجناس البشر فالأتقى هو الأفضل والأحب إلى الله عز وجل، وندب الإسلام إلى الحب والإيثار، ومثل المؤمنين بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ومقت الله النفاق والكذب، وحرمها على عباده، ووصف المنافقين بأبشع الأوصاف، ووعد الكاذبين بسوء العقاب.

ومنطلقاً من هذا المبدأ الانساني القويم، فرض الإسلام على معتنقيه الصدق فيه، والعمل بتعاليمه، وهكذا كان من دخل فيه مؤمناً، إلا أنه نظراً لدخول خلقٍ عظيم من الفرس، والترك، والأحباش، والأقباط وغيرهم، في الدين الاسلامي، فإنَّ بعض هذه الأجناس، قد دخلوا في الإسلام رهبةً من سلطانه، دون قناعةً بتعاليمه، فاندسوا في صفوف المسلمين، وأثاروا الفتن بينهم، لأغراض سياسية، أو عقائدية، أو مطامع دنيوية، وهذه العناصر الغريبة لم تكن ذات أهمية نظراً لاتساع رقعة الخلافة الإسلامية، ولم تكن شيئاً في جانب التلاحم العظيم الذي حدث بين الذين دخلوا في الإسلام عن رغبةٍ واقتناع. فقد انصهروا في قالبٍ واحدٍ، وناصروا الدين الإسلامي، وخدموه خدمة عظيمة، وكانوا يداً واحدةً على من عداهم، وتحقق فيهم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وبذلك قوي جانب الإسلام، وعلا مجده، ومجدهم به، وانتشرت علومه في الآفاق، حتى وصل إلى ما وصل إليه من عزٍ وعمقٍ في الكرة الأرضية.

وباستقراء تاريخ هذا العصر، يتبين للباحث أنه كان يتميز بالثراء العظيم، والغنى الواسع، ولا غرو في ذلك، فإنه عصر الفتوحات الإسلامية، التي استولت على أقطار الدنيا، وحازت خيراتها، كما كان للجزية التي ضربها المسلمون على الذين رفضوا الدخول في الإسلام، الأثر في إثراء الخزينة الإسلامية.

إلا أنه يجب أن يلاحظ هنا، أن أخذ الجزية من الذين يرفضون الدخول في الإسلام، ليس مقصوداً لذاته، ولكنه لحملهم على الدخول في الإسلام، وهو المطلب الأساسي للمسلمين، الذين طرقوا الآفاق لنشر عدالة الإسلام ونوره. فيأخذون الجزية عند رفضهم الدخول فيه اصغاراً وإذلالاً لهم، لعل ذلك يحملهم على الدخول في دين الله. ومع فرضها عليهم فإنه لا يؤخذ منهم إلا شيئاً يسيراً بالنسبة لأموالهم، ويكون لهم ما للمسلمين من حقوق الرعاية والحماية وغيرها. لا فرق في ذلك، بين شريفٍ ووضيعٍ. فإذا عجز الحاكم المسلم عن حمايتهم من عدوهم فإنه يردها عليهم. كما أن العاجزين عن دفعها يمنع الدين الإسلامي تحميله مالا يطيق.

وهذا وأيم الله عين العدالة والانصاف

ويحق لنا أن نقول، أن هذا العصر هو عصر الفتوحات الواسعة، والإندماج البشري، والاتساع العظيم لرفعة الخلافة الاسلامية، والثراء الهائل لمجتمعاتها[٣٨].

(٣٨) انظر البداية والنهاية (١٠/٢١٤-٢١٦، ٢٤٢-٢٤٣، ٢٦٥، ٢٨٨) وتاريخ الخلفاء (ص ٣٠٨-٣٣٥)، وتاريخ الإسلام (٢/٣٩٥).

المبحث الثالث

«الحالة العلمية»

تميز هذا العصر من الخلافة العباسية بالإزدهار العلمي، فهو بحق العصر الذهبي للحركة العلمية والنتاج الفكري، فقد نشطت حركة التأليف وازدهرت صناعة الورق، وتبع ذلك ظهور الوراقين، ووجود أمكنة لهم تتخذ منتدا للعلماء، والأدباء يتزودون منها بالعلم، وكثرت المكتبات وزخرت بالكتب في شتى العلوم، ونشطت حركة الترجمة من الكتب السريانية والأعجمية إلى العربية بما فيها من عقائد، ومذاهب، ونحل، وآراء، وعلوم، كالطب، والفلسفة، والنجوم وغيرها[٣٩]، وبعد شيوع هذه المذاهب، والآراء في الوسط الإسلامي كانت الحرب فيها سجالاً بين كل ديانة والديانات الأخرى، وبين كل فرقة وفرقة، وأضحت الدولة الإسلامية ميداناً لهذه المذاهب وحروبها، وبذلك عرف مذهب الزندقة ومذهب الإعتزال، والإرجاء وغيرها، إضافة إلى مذهب الخوارج، الذي عرف في آخر عهد الخلافة الراشدة، أثناء الحرب بين علي بن أبي طالب، ومعاوية رضي الله عنهما، وكذلك مذهب التشيع، كما نشط تدوين الحديث بصفة خاصة، وكثر الاهتمام به، كما اشتهر علماؤه، وعلماء التفسير، والفقه، وكذلك كثرت تأليف كتب الأدب، واللغة، وغيرها، وبرز الإعتناء بعلوم الحديث الشريف، لتصفيته مما أدمج فيه من أحاديث موضوعة، وضعت لخدمة أغراض عقدية، أو اتجاهات فكرية أو سياسية، أو تكسب مادي، ويتبين مدى الاعتناء بها من قول هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ حينما أحضر زنديقاً وأراد قتله، قال الزنديق للرشيد: أين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله ﷺ كلها ما فيه حرف نطق به؟. قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري[٤٠]،

(٣٩) انظر ضحى الإسلام (٢: ٦١، ٣: ٣٥٠).

(٤٠) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة، إمام أهل الشام في المغازي وغير ذلك (ت ١٨٨ هـ وقيل قبل ذلك) البداية والنهاية (١٠: ٢٠٠).

وعبدالله بن المبارك[41]، ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً[42].

وكان المعروف في عهد الخلفاء رضي الله عنهم هو: إسلام ومسلم وليس هناك مذاهب وفرق له، تخرج بأصولها عليه، وكان المسلمون يطلق عليهم إسم: الصحابة، ومن جاء بعدهم، الأتباع، ثم أتباع الأتباع، وهكذا.

فلما ظهرت تلك الفرق أطلق إسم «أهل السنة» على كل من يتمسك بالكتاب والسنة، وإسم «المعتزلة» على من يأخذ بالكلام والنظر، و «المرجئة» على من يقول بإرجاء العمل عن الإيمان، ويقول غلاتهم، أن الإيمان هو التصديق، بالقلب فقط، وأنه لايضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وبعضهم يقول: أنه إقرار باللسان فقط، كما يقول الكرامية، ويقول البعض هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان وأن العمل ليس داخلاً في مسمى الإيمان، كما يقول الماتوريدية، وكل ذلك خطأ مخالف لنصوص الكتاب والسنة. أما أهل السنة والجماعة فيقولون هو: إعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح، وأنه لايكفر مرتكب الكبيرة ما لم يكن مستحلاً لها. كما أطلق اسم الخوارج على الذين يقولون بكفر علي وعثمان والحكمين رضي الله عنهم. وأصحاب الجمل وكل من رضي تحكيم الحكمين، وكذلك مرتكبي الكبائر، ويقولون بوجوب الخروج على الإمام الجائر، ويطلق إسم «الشيعة» على الذين يقولون «أن علياً وذريته أحق الناس بالخلافة وأن علياً أحق بها من أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وأن النبي ﷺ عهد له بها من بعده». ويطلق «الزنادقة» ـ وهم أتباع «ماني الفارسي على الذين يقولون بأصلين النور والظلمة» ـ و «الخرمية» والبابكية وهما: مذهبان فارسيان تفرعا عن مذهب مزدك الفارسي، الذي يقول بإباحة المحرمات من كل شيء ـ حتى النساء ـ[43].

وكل مذهب من هذه المذاهب المنحرفة، ينقسم إلى فرق شتى، وبما أن الدولة العباسية قامت بمساعدة الفرس، وكانت لهم الغلبة في التسلط على الخلفاء، وتقلدهم للمناصب القيادية فيها، ـ مدنية وعسكرية ـ فقد كان لمذاهبهم إنتشار في الوسط الإسلامي، حيث أنها مذاهب الآباء والأجداد، فكانوا يحنون اليها، فحينما تمكنوا من

(41) هو أبو عبدالرحمن المروزي، كان موصوفاً بالحفظ، والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة (١١٨-١٨١هـ) البداية (١٠: ١٧٧)، وتذكرة الحفاظ (١: ١٧٤).

(42) تاريخ الخلفاء (ص ٢٩٣).

(43) راجع الملل والنحل (١: ٤٣، ١١٤-١١٥، ١٣٩-١٤٢، ١٤٥) وتاريخ الاسلام (٢: ١٦٢-١٨٤)، وضحى الاسلام (٣: ٢٠٨، ٣١٦، ٣٣٠).

الحكم في هذا العهد، أخذوا في إحيائها، مع أن بعضهم لم يؤمن بالإسلام في حقيقة الأمر، ولكنه آمن بسلطانه، ورأى أنه لا سبيل لنيل الجاه، والسلطان والمال، إلا بالإسلام، فاعتنقه ظاهراً، وظل على دينه القديم في الباطن، وبعضهم عرف أنه لا يستطيع إفساد الدين الإسلامي، إلا باعتناقه ظاهراً، والإندساس بين صفوف المسلمين، حتى يؤمن جانبه، ويسهل على النفوس الأخذ بقوله. فلما تحقق له ذلك، أخذ في نفث عقيدته، في كل فن من فنون الإسلام، إلا أن هذه المذاهب الضالة بدأت مرفوضة في أول العصر العباسي، حتى نهاية عهد الخليفة هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ فقد كان والده المهدي[44] شديد الوطأة على الزنادقة، فأوغل في قتلهم وتشريدهم، وأمر بتصنيف كتب الجدل بالرد عليهم، وتبعه ابنه الهادي[45] في هذا الأمر، وقتل منهم طائفة كثيرة جداً ثم جاء دور الرشيد ولاحقهم في كل مكان، وكان يتقرب إلى الله بقتلهم، وبدأ في عهده إنتشار مذهب المعتزلة، وسمع أن بشر بن غياث المريسي[46]، يقول بخلق القرآن فقال: لئن أظفرني الله به لأضربن عنقه[47] وقال بعضهم: دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق، والسيّاف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال: القرآن مخلوق، فقتلته على ذلك قربة إلى الله عز وجل[48]. ولهذا فقد أثنى عليه الفضيل بن عياض[49] ـ رحمه الله ـ حيث قال: ليس موتُ أحدٍ أعز علينا من موت الرشيد، لما أخوف بعده من الحوادث، وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمري، قالوا: فلما مات الرشيد ظهرت الفتن، والحوادث والإختلافات، وظهر القول بخلق القرآن، فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك[50].

(44) هو أبو عبدالله محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس (ولد سنة ١٢٦ هـ وقيل ١٢٧ هـ ـ وقيل ١٢١ هـ) ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ١٥٨ هـ (ت سنة ١٦٩ هـ) انظر البداية والنهاية (١٠: ١٥١-١٥٢).

(45) هو أبو محمد الهادي موسى بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ١٦٩ هـ، (ت ١٧٠ هـ) المصدر السابق (١٠: ١٥٩).

(46) صاحب الكلام وشيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون (ت سنة ٢١٨ هـ). انظر البداية والنهاية (١٠: ٢٨١).

(47) تاريخ الخلفاء (ص ٢٧٣-٢٨٤).

(48) البداية والنهاية (١٠: ٢١٥).

(49) أبو علي التميمي أحد أئمة العباد الزهاد، وأحد العلماء الأولياء، كان سيداً جليلاً ثقة من أئمة الرواية، ولد بخراسان وقدم الكوفة ثم انتقل الى مكة. (ت ١٨٧ هـ) تذكرة الحفاظ (١: ٢٤٥)، البداية والنهاية (١٠: ١٩٨).

(50) البداية والنهاية (١٠: ٢٢١) تاريخ الخلفاء (ص ٢٨٤).

ولما كان المأمون قد عاش بخراسان والياً عليها من عام ١٨٢ هـ، ولم يقدم منها إلا سنة ٢٠٤ هـ[٥١]، وكان من خواصه أقطاب الاعتزال، أحمد بن أبي دؤاد[٥٢]، وثمامة بن الأشرس، وبما أن المأمون قد عنى ـ بالفلسفة وعلوم الأوائل، ومهر بها[٥٣]. ولاجتماعه ببشر ابن غياث المريسي، الذي توعده الرشيد بالقتل لقوله بأن القرآن مخلوق، وحيث أن عصره هو عصر الفلسفات، حيث أخذ ذلك من الكتب المترجمة عن الفرس واليهود والنصارى وغيرهم، ولجهله بالسنة، فقد اعتنق المأمون مذهب المعتزلة، وحمل الناس على القول بخلق القرآن، بقوة السيف، وأصبح الدين الرسمي للدولة، يقول ابن كثير في البداية والنهاية[٥٤]: «في ربيع الأول من سنة ٢١٢ هـ أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين، إحداهما أطم من الأخرى، وهما القول بخلق القرآن، والثانية تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد أخطأ في كليهما خطأً كبيراً، فاحشاً، وأثم إثماً عظيماً». فجمع بذلك بين مذهب المعتزلة ومذهب الرفض، وكلاهما شر من الآخر ـ ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس، خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم فحمل الناس على مذهبه سنة ٢١٨ هـ ونال المسلمين من ذلك بلاء عظيم، وكانت فتنة عمياء، اختبر فيها علماء المسلمين، فقتل من لا يقول بها، وقال بها الكثير تأولاً، تحت وطأة السلاح، وثبت الله تعالى قلة من العلماء، منهم الإمام أحمد بن حنبل[٥٥]، والذي فرج الله الفتنة على يديه، فذاق مرها، وفرح بانفراجها. ومحمد بن نوح[٥٦]، الذي مات في أغلالها، وأحمد بن نصر الخزاعي[٥٧]، الذي استشهد بين يدي الخليفة الواثق، حيث قتله بيده تقرباً

(٥١) البداية والنهاية (١٠ : ١٧٩، ٢٥٠).

(٥٢) هو: أحمد بن أبي دؤاد الايادي المعتزلي، دعا إلى مذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة ونال أهل السنة بسببه بلاء عظيم. أذله الله في آخر عمره على يد الخليفة المتوكل، وهلك سنة ٢٤٠ هـ. البداية والنهاية (١٠ : ٣١٩).

(٥٣) تاريخ الخلفاء (ص ٣٠٦).

(٥٤) البداية والنهاية (١٠ : ٢٦٦-٢٦٧).

(٥٥) هو: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني، الحافظ شيخ الاسلام وسيد المسلمين في عصره، وأحد الأئمة الأربعة، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ، وقد ثبت في وجه فتنة المعتزلة بالقول في خلق القرآن، ثبوت الجبال الرواسي وحفظ الله به السنة وجلد بين يدي المعتصم لارغامه بالقول بخلق القرآن ولكن الله أيده ونصره (ت ٢٤١ هـ) تذكرة الحفاظ (٢ : ٤٣١).

(٥٦) محمد بن نوح بن ميمون بن عبدالحميد بن أبي الرجال، كان أحد المشهورين بالسنة، وقد عاصر فتنة القول بخلق القرآن، وثبت على الحق مع الامام أحمد، وحمل معه إلى المأمون وهو في الرقة، وأدركه المرض (ت ٢١٨ هـ). تاريخ بغداد (٣ : ٣٢٢).

(٥٧) هو: أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، كان من أهل العلم والديانة، والصلاح، ومن أئمة السنة الآمرين ←

لمذهبه، حيث أوصى المأمون خلفاءه من بعده باعتناق هذا المذهب[٥٨]. ولقي المسلمون منه عنتاً شديداً، ورفع الله هذه الغمة وفرجها على يد الخليفة المتوكل[٥٩]سنة ٢٣٤ هـ وقيل سنة ٢٣٧ هـ، حيث أمر برفع الفتنة وأظهر الميل للسنة ونصر أهلها، وأمر بعقد حلق العلم في المساجد، وأن يحدث بأحاديث الصفاة والرؤية، وقد نال أحمد بن أبي دؤاد وحزبه، ذل عظيم، ومزقهم الله شر ممزق[٦٠]، وهكذا ارتفعت هذه الفتنة، بعدما يقارب عشرين عاماً، من الظلم والقتل والقسوة، على أهل السنة والجماعة، ولكن العاقبة للمتقين، ومن الجدير بالذكر أن قطب رحى هذه الفتنة، وغيرها، هي حاضرة الخلافة في ذلك العصر «العراق» حيث كان فيها مقر الخلافة، وأهلها تحت أنظار الخلفاء، وإن كان خلفاء الفتنة قد بعثوا كتباً للأمصار لحمل علمائها على القول بذلك، فمن أجاب نجا، ومن أبى عذب أو قتل، إلا أنني لم أر ـ فيما قرأت ـ إمتحانا لعلماء الحرمين ـ مكة والمدينة ـ الذين كان منهم محمد بن أبي عمر العدني، وفيما يبدو أن الله قد أنجاهم منها، فقد عاشوا لائذين في كنف البيت العتيق، مع أنهم كانوا بعيدين عن فلسفات ذلك العصر لبعدهم عن مركز الخلافة، ولاهتمامهم بالحديث الشريف وعلومه، وإنشغالهم به تحملاً وأداءً. وعدم اختلاطهم بأصحاب المذاهب والأفكار المنحرفة، وإن كان زخم تلك المذاهب قد وصل اليهم، حيث أثرت عنهم أقوال كثيرة رداً على المعتزلة، والمرجئة وغيرهم. وألفت كتب في الإيمان، تأييداً لمذهب السلف، ومن ذلك كتاب الإيمان لابن أبي عمر، الذي نحن بصدده، وقبله كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام[٦١]، والحافظ أبي بكر بن أبي شيبة[٦٢]، والإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن أسلم الطوسي[٦٣]، وغيرهم.

بالمعروف والناهين عن المنكر، قتله الخليفة العباسي الواثق بنفسه حين رفض القول بخلق القرآن سنة ٢٣١ هـ ـ رحمه الله ـ البداية والنهاية (١٠ : ٣٠٣).

(٥٨) تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٠-٣٤١).

(٥٩) هو: المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة ٢٠٧ هـ وبويع بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ورفع الله به لواء الكتاب والسنة وأمر برفع فتنة القول بخلق القرآن، وكتب الى الأمصار بالكف عن ذلك، وأمر بأن لا يشتغل أحد الا بالكتاب والسنة، وأظهر اكرام الامام أحمد بن حنبل، وأئمة السنة، (ت ٢٤٧ هـ). البداية والنهاية (١٠ : ٣١٦، ٣٤٩).

(٦٠) البداية والنهاية (١٠ : ٣١٦)، تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٦).

(٦١) هو الإمام المجتهد البحر، القاسم بن سلام البغدادي اللغوي، الفقيه، صاحب المصنفات، قال الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبيد استاذ وهو يزداد كل يوم خيرا (ت ٢٢٤ هـ). تاريخ بغداد (١٢ : ٤٠٣).

(٦٢) الحافظ عديم النظير الثبت النحرير، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان بن خواستى العبسى مولاهم، الكوفي صاحب المسند والمصنف وغيره، (ت ٢٣٥ هـ). تذكرة الحفاظ (٢ : ٤٣٢).

(٦٣) محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الكندي مولاهم الامام الرباني شيخ المشرق، كان من الثقات الحفاظ والأولياء الأتقياء، ←

وكانت مكة والمدينة من أكبر المصادر في علوم الإسلام، لاسيما فيما يتعلق بالحديث، وما ينبني عليه من فقه، وما يتصل بذلك من أخبار وسير، وذلك أمر طبيعي، لأن مكة منشأ النبي ﷺ، وفيها بيت الله، ومهوى أفئدة المسلمين، والمدينة مهاجر رسول الله ﷺ، وكلاهما منبت الصحابة من المهاجرين والأنصار، الذين عاشروا النبي ﷺ، وحدثوا عنه، وحكوا ما رأوه وسمعوه، من أقواله وأفعاله، وأوصافه، وتناقله عنهم من بعدهم، وكانت حركة الحج والعمرة الدائبة، سبباً في إتصال العالم الإسلامي بعلماء مكة والمدينة، ينتهزون فرصة وجودهم فيها، فيجتمعون بعلمائها، يسمعون منهم ويروون عنهم. مما كان له الأثر البالغ في انتشار الإسلام وعلومه في أنحاء المعمورة.

* * *

← وصفه ابن خزيمة بأنه ربان هذه الأمة، كان يشبه الامام أحمد بتمسكه بالسنة، (ت ٢٤٢ هـ). تذكرة الحفاظ (٢: ٥٣٢).

القسم الأول

دراسة حياة المؤلف

الباب الأول

حياة المؤلف

الفصل الأول

أ ـ نسب العدني وكنيته ونسبته:

هو: الحافظ المسند القاضي: أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أبي عمر، ويقال له محمد ابن أبي عمر، منسوباً إلى جده، وقيل أبو عمر كنية أبيه، ـ المكي، العدني، الدراوردي[٦٤].

فالمكي: نسبة إلى مكة المكرمة لولادته فيها وسكناه واستقراره بها.

والعدني: نسبة إلى عدن ـ بفتح العين والدال المهملتين، وفي آخرها النون ـ بلدة من بلاد اليمن، وهي في الوقت الحاضر عاصمة الشطر الجنوبي من اليمن[٦٥]، وقد نسب إليها لتوليه القضاء فيها[٦٦].

وقال الرازي (ت ٤٦٠ هـ) حينما ترجم له في كتابه تاريخ مدينة صنعاء: «من أهل اليمن سكن مكة، ونسب إليها»[٦٧]، ويؤيد ما ذكره الرازي أن أصله من أهل اليمن، نسبة والده إلى عدن[٦٨].

---

(٦٤) العقد الثمين (٢: ٣٨٧)، الأنساب (٩: ٢٤٩)، تهذيب الكمال (٣: ١٢٨٨).
(٦٥) الأنساب (٩: ٢٤٩).
(٦٦) طبقات فقهاء اليمن (ص ٧٢).
(٦٧) ص ٥٣٣.
(٦٨) التهذيب (١١: ٢٦٠).

والـدراوردي: نسبة إلى دارابجرد في فارس، واستثقلوا أن يقولوا «الدارابجردي» فقالوا: «الدراوردي»[٦٩]. ولم أقف على من ذكر سبب هذه النسبة.

ب ـ ولادته ونشأته:

ولد محمد بن أبي عمر في مكة المكرمة، ونشأ فيها وكان والده منها[٧٠]، ولم أر من ذكر تاريخ ولادته. إلا أنه يظهر على ما قيل أنه عندما توفي كان عمره تسعين سنة، وقد كانت وفاته عام ٢٤٣ هـ، فولادته تكون عام ١٥٣ هـ تقريباً.

وقد ترعرع في كنف البيت العتيق، في جو علمي مهيب، حيث كان والده من طلاب العلم، فرضع العلم من صغره. ثم خرج إلى عدن حيث تولى القضاء بها فترة من الزمن لم أر من ذكر مدتها، ثم رجع إلى مكة واستقر بها ولم يخرج منها حتى توفاه الله[٧١].

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن أبي عمر لم يقعد عن الطواف ستين سنة، وحج سبعاً وسبعين حجة[٧٢]، وهذا الرقم إذا قورن بعمره عند وفاته وهو تسعون عاما على ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء[٧٣] يظهر لنا أنه لم يفارق مكة إلا فترة وجيزة، لأنه من غير المتيسر ـ آن ذاك ـ له الحج في كل عام حتى يحج سبعاً وسبعين حجة لعظم المشقة، أما كونه لم يقعد ستين سنة عن الطواف فهذا يثبت بقاؤه في مكة تلك المدة.

وكان ابن عيينة رحمه الله قد انتقل إلى مكة سنة ١٦٣ هـ[٧٤]، فإذا نظرنا إلى سماع ابن أبي عمر عنه ثماني عشرة سنة يظهر لنا أنه سمع منه حتى عام ١٨١ هـ. ثم ذهب إلى عدن وبقي فيها قاضياً ما يقارب السنة ثم عاد إلى مكة وبقي فيها ستين سنة لم يقعد عن الطواف. حتى توفي في شهر ذي الحجة عام ٢٤٣ هـ، وهذا على فرض استمرار سني أخذه عن ابن عيينة وأن مداومته على الطواف بعد عودته من عدن. وفي نظري أن هذا الافتراض قريب من الصواب، لأنه حينما توفي ـ رحمه الله ـ كان عمره تسعين سنة، فما دام أنه لم يقعد عن الطواف ستين سنة، فإن هذا لا يتأتى إلا في آخر عمره، وابن عيينة توفي وابن أبي عمر

(٦٩) الأنساب (٥: ٣٣٠).
(٧٠) الأنساب (٩: ٢٤٩).
(٧١) أنظر طبقات فقهاء اليمن (ص ٧٢).
(٧٢) تذكرة الحفاظ (٢: ٥٠١).
(٧٣) سير أعلام النبلاء (١٢: ٩٦-٩٧).
(٧٤) التهذيب (٤: ١٢٢).

في مقتبل عمره، وكانت وفاته في سنة ١٩٨ هـ[٧٥]. فتكون بداية استمراره في الطواف من سنة ١٨٣ هـ. وولايته قضاء عدن قبل ذلك. ولا تكون ولايته للقضاء إلا بعد طلب العلم، وتضلعه به، ونضوج فكره.

فيستنبط من ذلك على فرض استمرار الثماني عشرة السنة التي اختلف فيها إلى ابن عيينة، أنه سمع منه حتى عام ١٨١ هـ ثم ذهب إلى عدن وصار قاضياً فيها سنة أو نحوها، ثم عاد إلى مكة سنة ١٨٣ هـ، وبقي فيها حتى توفاه الله. وهناك افتراض آخر أنه ولي قضاء عدن قبل عام ١٨٣ هـ مدة يعلمها الله وأن سماعه من ابن عيينة كان قبل توليه قضاء عدن وبعده. إلا أنه لا يمكن اعتبار ولايته للقضاء بعد عام ١٨٣ هـ لما أشرت اليه.

وعلى أية حال فإنه قد بلغ درجة عالية من العلم والتقوى والصلاح فكان من جلة الحفاظ، وأكابر العلماء، وانتهت إليه مشيخة الحرم في زمانه[٧٦]. وألف كتابه المسند في الحديث، وكتابه الإيمان، الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته. والذي اعتمد فيه على النصوص الحديثية.

جـ ـ طلبه العلم:

لم يذكر من ترجم لابن أبي عمر أنه رحل في طلب العلم إلى خارج مكة المكرمة، ولا عجب في ذلك فإن مكة مهوى قلوب المسلمين فيفد إليها في كل عام أفواج من العلماء لأداء مناسك الحج والعمرة. فيستقي منهم.

هذا إلى أن سفيان بن عيينة من أجل العلماء في مكة وتتلمذ عليه وأكثر عنه حتى أنه قال: إختلفت إلى ابن عيينة ثماني عشرة سنة[٧٧]، وهذا يؤكد حرصه على ملازمته والأخذ عنه. كما أخذ عن غيره من أهل مكة، كالفضيل بن عياض، وعبدالعزيز الدراوردي، ومعتمر، وغيرهم[٧٨].

* * *

(٧٥) التهذيب (٤: ١٢٠).
(٧٦) تذكرة الحفاظ (٢: ٥٠١)، تاريخ مدينة صنعاء (ص ٥٣٣).
(٧٧) جامع الترمذي (٢: ٢٦).
(٧٨) تهذيب الكمال (٣: ١٢٨٨).

الفصل الثاني

«ثناء العلماء عليه»

قال ابن أبي حاتم: أنبأنا أحمد بن سهل الاسفرائيني، سمعت أحمد بن حنبل، وسئل عمن نكتب فقال: أما بمكة فابن أبي عمر[٧٩].

وقال الترمذي حدثنا محمد بن يحيى العدني المكي، ويكنى بأبي عبدالله الرجل الصالح هو ابن أبي عمر[٨٠]. وقال أيضاً سمعت ابن أبي عمر يقول: اختلفت إلى ابن عيينة ثمانية عشرة سنة، وكان الحميدي أكبر مني بسنة، وسمعت ابن أبي عمر يقول: حججت سبعين حجة ماشياً على قدمي[٨١]. وقال ابن معين: ثقة[٨٢]. وقال الجعدي: كان من جلة الحفاظ وأكابر العلماء[٨٣]. وقال المزي: روينا عن الحسن بن أحمد بن الليث الرازي قال: حدّثنا محمد بن أبي عمر العدني، وقد كان حج سبعاً وسبعين حجة وبلغني أنه لم يقعد عن الطواف ستين سنة، وذكره ابن حبان في الثقات[٨٤].

ونقل الحافظ ابن حجر أن مسلمة قال في ابن أبي عمر: لا بأس به[٨٥].

وأشار ابن حجر أن البخاري روى لابن أبي عمر حديثاً في صحيحه تعليقاً فقال في كتاب الصلاة، في الجمعة عقب حديث شعيب عن الزهري عن عروة عن أبي حميد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قام عشية بعد الصلاة فتشهد، وأثنى على الله بما هو

---

(٧٩) الجرح والتعديل (٨: ١٢٤).
(٨٠) جامع الترمذي (٤: ١٢٠).
(٨١) جامع الترمذي (٢: ٢٦).
(٨٢) تاريخ ابن معين (٢: ٥٤٢).
(٨٣) طبقات فقهاء اليمن (ص ٧٢).
(٨٤) تهذيب الكمال (٣: ١٢٨٨).
(٨٥) التهذيب (٩: ٥٢٠).

أهله ثم قال: أما بعد، وقال بعده: تابعه أبو معاوية عن هشام، وقال بعده: تابعه العدني عن سفيان في أما بعد يعني عن هشام[٨٦].

والدليل على أنه ابن أبي عمر، أن مسلماً رواه في صحيحه عن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني عن سفيان بن عيينة عن هشام كذلك. وقد ظن بعضهم أن العدني هو عبدالله ابن الوليد، وأن سفيان هو الثوري، وهو محتمل، والله تعالى أعلم. ا. هـ[٨٧].

وقال الذهبي في كتاب العبر في سياق كلامه عن ابن أبي عمر، قال: كان عبداً صالحاً[٨٨].

وقال في تذكرة الحفاظ: الحافظ المسند أبو عبدالله محمد بن بن يحيى بن أبي عمر، حج سبعاً وسبعين حجة وصار شيخ الحرم في زمانه، وكان صالحاً عابداً، لا يفتر عن الطواف[٨٩].

وقال ابن العماد: كان عبداً صالحاً خيراً، وقال مسلم وغيره: هو حجة صدوق[٩٠].

وقال الزركلي: عالم بالحديث كان قاضي عدن وجاور بمكة وعاش طويلاً، وحج سبعاً وسبعين حجةً ماشياً، له المسند في الحديث[٩١].

وقال إسماعيل البغدادي: الحافظ أبو عبدالله محمد بن يحيى، صار شيخ الحرم في زمانه[٩٢].

وقال ابن الأثير: كان ثقة[٩٣].

كما قال اليافعي: كان من جملة الحفاظ وأكابر العلماء[٩٤].

---

(٨٦) الحديث المذكور عند البخاري، ذكره صاحب الفتح تحت رقم ٩٢٥ (جـ ٢: ٤٠٣).
(٨٧) التهذيب (٩: ٥٢٠).
(٨٨) العبر (١: ٤٤١).
(٨٩) التذكرة (٢: ٥٠١).
(٩٠) الشذرات (٢: ٢٠٤).
(٩١) الأعلام (٨: ٣).
(٩٢) هدية العارفين (٢: ١٣).
(٩٣) اللباب (٢: ٣٢٨).
(٩٤) مرآة الجنان (٢: ٢٨٠).

وقال عمر رضا كحالة: محدث مسند حافظ، تولى مشيخة الحرم، ومن آثاره المسند وكتاب الإيمان[٩٥].

ولم أر أحداً من العلماء الذين ترجموا له من لامه بشيء، سوى ما ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه حيث قال: كان رجلاً صالحاً، وكان به غفلة، ورأيت عنده حديثاً موضوعاً، حدث به عن ابن عيينة، وكان صدوقاً[٩٦]. وهذا القول لا يحط من قدره الرفيع، فقل من يسلم من العيوب لتعرض البشر لذلك. وكفى بالمرء كمالاً أن تعد معائبه، وكفى بابن أبي عمر شرفاً أن روى عنه الامام مسلم ـ وهو من هو ـ رحمه الله.

حيث أنه أكثر تلاميذه رواية عنه، وقد تتبعت ما رواه عنه في صحيحه فوجدته تسعة وثمانين ومائتي حديث، وفي المقدمة حديث واحد.

كما روى عنه الترمذي في الجامع خمسة وستين ومائة حديث، وروى عنه ابن ماجه سبعة عشر حديثاً، ولا أدل على جلالة هذا الرجل وعظيم قدره، من رواية هؤلاء الأعلام عنه. رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

* * *

(٩٥) معجم المؤلفين (١٢: ١٠٧).

(٩٦) الجرح والتعديل (٨: ١٢٤).

الفصل الثالث

«عقيـــدتـــه»

عاصر ابن أبي عمر الحركات العقائدية المنحرفة التي أشرنا إليها في فصل «الحالة العلمية في عصره» ومنها مذهب الاعتزال، الذي تبناه الخليفة المأمون، والمعتصم، والواثق، وحملوا الناس عليه، ويقع عهدهم من سنة (١٩٨-٢٣٢ هـ) ثم رفع الله هذه الفتنة بالخليفة المتوكل، وكان الخلفاء المذكورون قد حملوا الناس على القول بخلق القرآن، ولا سيما العلماء منهم باعتبارهم قدوة للعوام، وأمر المأمون ببعث محمد بن سعد، ويحيى بن معين، وأبي خيثمة، وأبي مسلم مستملي يزيد بن هارون، واسماعيل بن داود، واسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن ابراهيم الدورقي، إليه في الرقة من بغداد فأشخصوا إليه، فامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوه ـ تأولاً ـ خوفاً من القتل، فردهم إلى بغداد، وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولاً، ثم أجابوه تقية، كما طلب بعث أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح العجلي إليه في طرسوس، لإصرارهما على رفض القول بذلك، فأشخصا إليه، ولكنه هلك قبل مثولهما بين يديه، وأعيدا إلى بغداد وتوفي محمد بن نوح في الطريق، رحمه الله، وثبت الله الإمام أحمد، حتى انتصر الحق[٩٧]، ولم أر من ذكر أن علماء الحرمين ومنهم ابن أبي عمر قد امتحنوا في ذلك، كما لم أقف على أقوال له تدل على عقيدته، ولكن من الواضح أن عقيدته هي عقيدة السلف أهل السنة حيث أنه من رجال الحديث الذين اهتموا به اهتماماً بالغاً، وخلف لنا كتابه «المسند» ولكنه في حكم المفقود وكتابه «الإيمان»، الموجود بين أيدينا، وسمع منه كثير من علماء الحديث والعقيدة، مثل الإما م مسلم ـ الذي يعتبر من أكثر الرواة عنه ـ، كما أشرنا إلى ذلك في ترجمته، والإمام الترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، وقد تولى مشيخة الحرم المكي في عصره.

(٩٧) البداية والنهاية (١٠: ٣٣٢).

ولم يقل أحد منهم أو من رجال الجرح والتعديل أن في عقيدته ما يشوبها، وقد رأيت ما قالوه في فصل «ثناء العلماء عليه» وأنّ كتابه الإيمان من أقوى الأدلة على سلامة عقيدته، رحمه الله وغفر له.

* * *

الفصل الرابع

«آثاره العلمية»

١ـ كتاب المسند.

٢ـ كتاب الإيمان، الذي نحن بصدده.

فكتاب المسند في حكم المفقود، ويقال أنه موجود في مكتبة دار العلوم الألمانية في ألمانية الشرقية.

وهذا غير مؤكد، والاطلاع على تلك المكتبة من العسير لأنها في دولة شيوعية.

أما كتاب الإيمان فتوجد منه نسخة واحدة في المكتبة الظاهرية. مجموع ١٠٤ (من ص ٢٢٣ أ الى ٢٥٠ ب) في القرن الخامس.

ذكر هذا فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (١/ ٢١٠). والألباني في فهرس مخطوطات الظاهرية قسم الحديث برقم ١٣٤٦.

وقد ورد ذكر المسند في كثير من الكتب التي تعنى بذلك، فذكره السمعاني في كتابه الأنساب (٩: ٢٤٩)، والذهبي في التذكرة (٢: ٥٠١)، و اليافعي في مرآة الجنان (٢: ١٤٤)، والبغدادي في هدية العارفين (٢: ١٣)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢: ١٦٧٨)، والزركلي في الأعلام (٨: ٣)، وعبدالله الطيب أبو مخرمة في تاريخ ثغر عدن (١: ٢٣١)، والفاسي في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢: ٣٨٧ـ٣٨٨)، والسيوطي في طبقات الحفاظ (ص ٢١٨)، وابن العماد في شذرات الذهب (٢: ١٠٤)، والكتاني في الرسالة المستطرفة (ص ٦٦)، والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢: ٤٠٥)، وعمر كحالة في معجم المؤلفين (١٢: ١٠٧).

أما كتاب الإيمان فذكره ابن حجر في التهذيب (٢: ٣٢١) عند ترجمة الحسن بن محمد بن الحنفية عند كلامه على ما نسب إليه من القول بالارجاء، وفؤاد سزكين كما أشرت إليه في الصفحة السابقة، وذكره رضا كحالة في معجم المؤلفين (١٢: ١٠٧).

* * *

الفصل الخامس

«وفـــاتـــه»

توفي ـ رحمه الله ـ بعد عمر حافل بالعمل الصالح والعلم النافع في مكة المكرمة بعد الصدر[٩٨]، لاحدى عشرة بقيت من ذي الحجة آخر سنة مائتين وثلاث وأربعين من الهجرة النبوية. وكان من أبناء التسعين رحمه الله تعالى. وقد ذكر وفاته في هذا التاريخ، الامام البخاري في التاريخ الكبير (١ : ٢٦٥)، والصغير (ص ٣٣٥)، والقيسراني الشيباني في كتابه الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم (٢ : ٤٧٧). وابن عساكر في المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل (ص ٢٨٠)، والمزي في تهذيب الكمال (٣ : ١٢٨٨)، والذهبي في تذكرة الحفاظ (٢ : ٥٥١)، وفي العبر في خبر من عبر (١ : ٤٤١) والكاشف له أيضا (٣ : ١٠٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠ : ٣٤٥) إلا أنه قال محمد بن عمر العدني وابن حجر في التهذيب (٩ : ٥١٩)، والسيوطي في طبقات الحفاظ (ص ٢١٨) والفاسي في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢ : ٣٨٨)، والسمعاني في كتابه الأنساب (٩ : ٣٣٠)، والزركلي في الأعلام (٨ : ٣) وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين (٢ : ١٣)، وحاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢ : ١٦٧٨) والكتاني في الرسالة المستطرفة (ص ٦٦) وفؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (١ : ٢١٠) وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (١٢ : ١٠٧) وقد وهم اليافعي في مرآة الجنان فجعله في وفيات عام عشرين وثلاثمائة (٢ : ٢٨٠) وأشار إلى هذا الوهم الزركلي في الأعلام (٨ : ٣) حيث قال: جعله اليافعي في مرآة الجنان في وفيات عام ٣٢٠ هـ وهو سهو قطعاً، يظهر ذلك من أخذه عن فضيل، وأخذ مسلم عنه، ولم يتنبه إلى هذا صاحب تاريخ ثغر عدن (ص ٢٣٠) طبعة ابريل فنقل الوفاة ٣٢٠ هـ عن

(٩٨) الصدر: بالتحريك رجوع المسافر من مقصده والشارية من الورد، يقال صَدَرَ يَصْدُرُ صدوراً وصَدْراً ومنه الحديث «للمهاجر ثلاث بعد الصدر» يعني بمكة بعد أن يقضي نسكه. النهاية (٢ : ٢٥٥).

اليافعي. أ. هـ (٨ : ٣) وهو كما قال الزركلي فإن المصادر التي أشرنا إليها تؤكد وفاته في عام ٢٤٣ هـ. وسماعه من فضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٦ هـ وقبل ١٨٧ هـ[٩٩] وقول ابن أبي عمر كما رواه عنه الترمذي: كان الحميدي أكبر مني بسنة[١٠٠] وقد توفي الحميدي رحمه الله في سنة تسع عشرة ومائتين كما أورده الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢ : ٤١٤) وغيره.

وأشار الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢ : ٩٦-٩٧) أن ابن أبي عمر حينما توفي كان من أبناء التسعين. وهذا ما مر آنفا من أوضح الأدلة على وهم اليافعي، عفى الله عنا وعنه.

والغريب أن اليافعي ذكر في كتابه مرآة الجنان (٢ : ١٤٤) في وفيات عام ٢٤٣ هـ ما نصه: مات فيها محمد بن يحيى بن أبي عمرو العد ني، الحافظ صاحب المسند روى عن فضيل بن عياض. أ. هـ. أما في وفيات عام ٣٢٠ هـ فقال (٢ : ٢٨٠) وفيها أو قبلها أو بعدها توفي القاضي الحافظ محمد بن يحيى العدني قاضي عدن نزيل مكة، سمع منه الإمامان الحافظان مسلم بن الحجاج وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخذ عن سفيان ابن عيينة الهلالي.. الخ ما ذكره. فأنت تراه جعله اثنين أحدهما توفي عام ٢٤٣ هـ والآخر ٣٢٠ هـ وقد بحثت في تلاميذ الفضيل بن عياض عن اسم محمد بن يحيى بن أبي عمرو العد ني في تهذيب الكمال للمزي وغيره فلم أجد ذلك، ولم أجد حافظاً في الكتب التي ذكرت الحفاظ سوى ابن أبي عمر. وهذا من أقوى الأدلة على وهم اليافعي وخطأ تقسيمه. وتابع اليافعي في هذا الوهم والتقسيم، ابن أبي محرمة في كتابه تاريخ ثغر عدن فقال: توفي سنة ٣٢٠ هـ كذا في تاريخ اليافعي (١ : ٢٣١).

وكذلك ابن العماد في شذرات الذهب (٢ : ١٠٤و٢٨٦) سلك طريق اليافعي في جعلها اثنين على النحو الذي ذكره.

أما الجعدي فذكر في طبقات فقهاء اليمن (ص ٧٢) أنه كان في المائة الثالثة بعد ظهور القرامطة. وهذا وهم أيضا، فإن القرامطة كان ظهورهم في سنة ٢٧٨ هـ.

(٩٩) التهذيب (٨ : ٢٩٥).

(١٠٠) الجامع (٢ : ٢٦).

قال ابن الجوزي في أحداث سنة ٢٧٨ هـ ما نصه: وفيها وردت أخبار قوم يعرفون بالقرامطة[١٠١]. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١١: ٦١) في أحداث سنة ٢٧٨ هـ: وفيها تحركت القرامطة[١٠٢]

وفي هذه النصوص كفاية على صحة ما أثبتناه، إن شاء الله تعالى.

* * *

(١٠١) المنتظم (٥: ١١٠).

(١٠٢) وعرفهم قائلا: وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة، ويدخلون إلى الباطل في جهتهم، لأنهم أقل الناس عقولاً، ويقال لهم الاسماعيلية، لانتسابهم إلى اسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق، ويقال لهم القرامطة، قيل نسبة إلى قرمط بن أشعث البقار. انتهى.

الباب الثاني

«شيوخ المؤلف وتلاميذه»

١ـ شيوخه[١٠٣]:

١) إسحاق بن يوسف الأزرق.
٢) إسماعيل بن إبراهيم الصايغ.
٣) أيوب بن واصل.
٤) بشر بن السري.
٥) حسين بن علي الجعفي.
٦) حماد بن مسعدة.
٧) داود بن عجلان.
٨) سعيد بن سالم القداح.
٩) سفيان بن عيينة.
١٠) عبد الله بن رجاء المكي.
١١) عبد الله بن معاذ الصنعاني.
١٢) عبد الله بن يزيد المقرىء.
١٣) عبد الرحيم بن زيد العمي.
١٤) عبد الرزاق بن همام.
١٥) عبد العزيز الدراوردي.
١٦) عبد العزيز بن عبد الصمد.

(١٠٣) تهذيب الكمال (٣: ١٢٨٨)، التهذيب (٩: ٥١٨ـ٥١٩).

١٧) عبد العزيز بن أبي رواد.
١٨) عبد المجيد بن أبي رواد.
١٩) عبد الوهاب الثقفي.
٢٠) فرج بن سعيد بن علقمة الماربي.
٢١) فضيل بن عياض.
٢٢) محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين.
٢٣) أبو معاوية: محمد بن خازم الضرير.
٢٤) محمد بن فضيل بن غزوان.
٢٥) محمد بن قيس المأربي.
٢٦) محمد بن يحيى بن قيس المأربي.
٢٧) مروان بن معاوية الفزاري.
٢٨) معتمر بن سليمان.
٢٩) معن بن عيسى.
٣٠) هشام بن سليمان المخزومي.
٣١) وكيع بن الجراح.
٣٢) الوليد بن مسلم.
٣٣) يحيى بن سليم الطائفي.
٣٤) يحيى بن عبدالملك بن عبدالحميد بن أبي عيينة.
٣٥) يحيى بن أبي عمر العدني.
٣٦) يحيى بن عيسى الرملي.
٣٧) يزيد بن هارون.
٣٨) يعقوب بن جعفر بن أبي كثير.
٣٩) أبو سعيد مولى بني هاشم.

وقد حاولت معرفة أكثر من روى عنه من شيوخه وعملت إحصائية على ضوء ما وقفت عليه من كتب الحديث وفي كتاب الإيمان الذي نحن بصدده، كما حاولت معرفة أكثر من رووا عنه من تلاميذه على نهج معرفة أكثر من روى عنه من الشيوخ فتوصلت إلى أن أكثر من روى عنه من الشيوخ هم سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية، وعبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، وعبدالعزيز بن محمد الدراوردي، وعبدالرزاق بن همام.

كما أن أكثر من رووا عنه من تلاميذه هم: الإمام مسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، وراوي مسنده إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي. واعتبرت أن هؤلاء هم أكثر من تأثر بهم وتأثروا به.

وتتبعت سنن النسائي الصغرى «المجتبى» حديثاً حديثاً. فلم أجد فيها شيئاً مما رواه من طريق ابن أبي عمر، ويظهر أنه روى عنه في السنن الكبرى. والله أعلم.

٢ـ تلاميذه[١٠٤]:

١ـ الإمام مسلم
٢ـ الترمذي
٣ـ ابن ماجه
٤ـ إبراهيم بن مهدي الابلي
٥ـ أحمد بن عمرو الخلال المكي
٦ـ أبو سعيد أحمد بن محمد بن سعيد
٧ـ أحمد بن محمد بن موسى المكي
٨ـ إسحاق بن إبراهيم السبتي
٩ـ إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي المكي
١٠ـ إسحاق بن أحمد الفارسي
١١ـ بقي بن مخلد الأندلسي
١٢ـ أبو محمد جعفر بن شعيب النسفي
١٣ـ جمعة بن حامد النسفي الكرابيسي
١٤ـ الحسن بن أحمد بن الليث الرازي
١٥ـ الحسين بن إسحاق التستري
١٦ـ أبو علي الحسين بن عبدالله بن شاكر السمرقندي
١٧ـ الحكم بن معبد الخزاعي الأصبهاني
١٨ـ أبو يحيى زكريا بن داود الخفاف النيسابوري
١٩ـ أبو يحيى زكريا بن يحيى البزاز النيسابوري

---

(١٠٤) تهذيب الكمال (٣: ١٢٨٨)، التهذيب (٩: ٥١٩).

٢٠- زكريا بن يحيى السجزي
٢١- عبدالله بن صالح البخاري
٢٢- عبدالله بن محمد شيرويه النيسابوري
٢٣- عبدالله بن محمد الصياح الرافقي
٢٤- عبدالله بن محمد بن عمران الأصبهاني
٢٥- عبدالله بن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني
٢٦- عثمان بن خرزاذ الأنطاكي
٢٧- علي ين عبدالحميد الغضايري
٢٨- محمد بن إسحاق الثقفي السراج
٢٩- محمد بن حاتم بن نعيم المروزي
٣٠- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مصعب
٣١- المفضل بن محمد الجندي
٣٢- أبو أحمد هارون بن يوسف بن هارون بن زياد
٣٣- هلال بن العلاء الرقي
٣٤- أبو سعيد يحيى بن منصور الهروي الزاهد
٣٥- أبو حاتم الدارمي
٣٦- أبو حاتم الرازي
٣٧- أبو زرعة الدمشقي

* * *

القسم الثاني

دراسة الكتاب

سلسلة عقائد السلف
« ٦ »

كتاب الإيمان

للحافظ
محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني
المتوفى سنة ٢٤٣ هـ

دراسة وتحقيق
حمد بن حمدي الجابري الحربي

الدار السلفية